

حصار الدعوة ومقاومة أهلها

أهداف الدرس

- 1 - أن أتعرف مضمون صحيفة مقاطعة قريش للرسول ﷺ وذويه.
- 2 - أن أفهم دوافع قريش لمقاطعة الرسول ﷺ وذويه.
- 3 - أن أتمثل تحمل الرسول ﷺ وأصحابه وصبرهم في سبيل الدعوة.

تمهيد

لم تفلح قريش في تحقيق أهدافها في القضاء على الدعوة لا بالشدة ولا بالتفاوض، فجمعت أمرها على العودة إلى التصعيد بعد أن تأكدت من ثبات النبي ﷺ على موقفه، ولجأت لأسلوب الحصار والمقاطعة العامة للمسلمين ولمن يتعاطف معهم.

فكيف تحمل النبي ﷺ ومن معه هذا الحصار؟ وما هي النتائج المترتبة عن هذه المقاطعة؟ وما القيم المستفادة منها؟

النص

«أَشْتَدَّ الْحِصَارُ، وَقُطِعَتْ عَنْهُمْ (المسلمون وحلفاؤهم) الْمِيرَةُ وَالْمَادَّةُ، فَلَمْ يَكُنِ الْمُشْرِكُونَ يَتْرَكُونَ طَعَاماً يَدْخُلُ مَكَّةَ، وَلَا بَيْعاً إِلَّا بَادَرُوهُ فَاشْتَرَوْهُ، حَتَّى بَلَغَهُمُ الْجَهْدُ، وَالتَّجَاؤُا إِلَى أَكْلِ الْأَوْرَاقِ وَالْجُلُودِ، وَحَتَّى كَانَ يُسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ

أَصْوَاتُ نِسَائِهِمْ وَصِبْيَانِهِمْ يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، وَكَانَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلَّا سِرًّا، وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْعَةِ قِيمَتَهَا حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُونَ شِرَاءَهَا؛ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَخَافُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَضَاجِعَهُمْ يَأْمُرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى فِرَاشِهِ حَتَّى يَرَى ذَلِكَ مَنْ أَرَادَ اغْتِيَالَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يَخْرُجُونَ فِي أَيَّامِ الْمَوْسِمِ فَيَلْقَوْنَ النَّاسَ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ». [الرحيق المختوم للمباركفوري ص: 97 - 98 بتصرف].

الفهم

الشرح:

المِيرَة : الطَّعَامُ يُجْمَعُ لِلسَّفَرِ، وَتَأْتِي بِمَعْنَى جَلْبِ الطَّعَامِ لِلْبَيْعِ.
يَتَضَاغَوْنَ : مصدره ضُغَاءٌ وهو صياح المتألم وبكاؤه.

استخلاص المضامين:

- 1 - أصف حال المسلمين تحت الحصار.
- 2 - أستنتج دوافع قريش للمقاطعة وآثار ذلك على الرسول ﷺ وأصحابه وذويه.
- 3 - أستخلص أهم العبر المستفادة من حصار قريش للنبي ﷺ وأصحابه وذويه.

التحليل

أولاً: قريش تقاطع الرسول ﷺ ومؤيديه

لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن

عبدالمطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي....

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شِعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم [سيرة ابن هشام ج 1 ص: 153].

وقد اتخذ قرار الحصار والمقاطعة في شهر ذي الحجة، وهو من الأشهر الحرم التي كانت تعظمها العرب وعلى رأسهم قريش، وهو ما يؤكد الفشل الذريع للمشركين في إسكات صوت الحق وإطفاء نور الدعوة الإسلامية.

ثانياً: معاناة الرسول ﷺ ومن معه من الحصار

جاء الحصار والمقاطعة؛ دخل الرسول ﷺ وأصحابه وأهله وذووه من غير المسلمين مرحلة معاناة شديدة لا عهد لهم ولا للعرب بمثلها، فقد حُرِّموا من الطعام في موطنهم، ومُنِعوا أن تصل إليهم الميرة من خارج مكة، وإذا حاول بنو هاشم شراء ما يسدون به رمقهم؛ كانت قريش تزيد عليهم في سعره حتى لا يستطيعوا شراءه، فلم يكن يصلهم من الطعام إلا القليل الذي يسرب إليهم خفية. وقد بلغ الجهد بالمحاصرين حتى كانت تسمع أصوات النساء والصبيان يصرخون من شدة ألم الجوع. واضطر

المحاصرون إلى أكل أوراق الشجر والجلود. وقد استمرت هذه المعاناة ثلاث سنوات.

ثالثاً: فك الحصار وخيبة أمل المشركين

شَعْرُ هشام بن عمرو - وكان رجلاً واصلاً ذا شرف في قومه - بجور الصحيفة، وبجور ما أقدمت عليه قريش من عمل ينافي عادات العرب وأعرافهم في الوفاء بحق الرحم، فأخذته الرأفة على بني عشيرته من بني عبد مناف لما يكابدونه من شدة وجوع، فبدأ يحمل الطعام إليهم سرّاً إلى شعب بني طالب؛ ثم قرر أن يستعين برجال آخرين من بني مخزوم ليقنعهم بضرورة فك الحصار الظالم.

عندها «قام خمسة من أشرف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة، وهم: هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث العامري... وزهير بن أبي أمية المخزومي ابن عمه الرسول ﷺ عاتكة، والمطعم بن عدي النوفلي، وأبو البختري بن هشام الأسدي، وزمعة بن الأسود الأسدي واتفقوا على ذلك ليلاً، فلما أصبحوا غدا زهير... فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنوا هاشم والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة...»

لكن هؤلاء الرجال الفضلاء وجدوا معارضة شديدة من كبار المشركين، وعلى رأسهم أبو جهل. فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ أن الأرضة - وهي حشرة بيضاء مُصَفَّرَةٌ تشبه النملة، تأكل الخشب والحبوب ونحوهما كالأوراق - قد أكلت الصحيفة، ولم تترك منها إلا ما فيه اسم الله، فأخبر رسول الله ﷺ عمه أبا طالب بذلك، فأسرع أبو طالب إلى كفار قريش ليخبرهم بذلك. [نور اليقين ص52 بتصرف].

لم يبق أمام زعماء مكة من خيار إلا نقض الصحيفة وإنهاء المقاطعة. فخرج بنو هاشم و بنو عبد المطلب ومن انضم إليهم من المسلمين من شعب أبي طالب تغمرهم الفرحة. محّص الله المؤمنين، وثبتهم فلم تُلن عزائمهم ولم تتوقف دعوتهم إلى دين الله رغم المقاطعة والحصار.

رابعاً : أهدي وأقتدي

العبر المستخلصة من مقاطعة قريش وحصارها للنبي ﷺ وصحابته وذويه:

أسباب الحصار	الهدف منه	مدته	كيف استفاد منه المسلمون؟	من القيم التي تحلى بها المسلمون في فترة الحصار
فشل قريش في كف الرسول ﷺ عن الدعوة لدين الله	تسليم بني هاشم رسول الله ﷺ للقتل	ثلاث سنوات	محّص الله المؤمنين، وتماسكت صفوفهم، وكسبوا تعاطف بني هاشم إلا أبا لهب، وبدأت صفوف قريش تتفكك.	الصبر والثبات والتحمل، الحماية والتضامن والتضحية في سبيل الله، والإصرار على الدعوة إلى دين الله.

التقويم

- 1 - أتعرف أهم الدوافع والأهداف من مقاطعة قريش للرسول ﷺ وأصحابه وذويه.
- 2 - أستخلص مدى قسوة حصار قريش للمسلمين ومن معهم.
- 3 - أستنتج القيم التي تحلى بها الرسول ﷺ والصحابه في فترة الحصار.

«أَفَادَ الصَّحَابَةُ مِنْ ذَلِكَ (الْحِصَارِ) عِفَّةً وَنَقَاءً، وَإِخْلَاصاً لَا يُعْرِفُ لَهُ فِي التَّارِيخِ نَظِيرٌ، فَلَمْ يَكْتَرِثُوا لِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، ... إِنَّمَا عَنَاهُمْ - أَوَّلًا وَآخِرًا - إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَفِي أَيَّامِ الشُّعْبِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَلْقَوْنَ غَيْرَهُمْ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، وَلَمْ تَشْغَلْهُمْ أَلَامُهُمْ عَنْ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ وَعَرْضِهَا عَلَى كُلِّ وَافِدٍ؛ فَإِنَّ الْإِضْطِهَادَ لَا يَقْتُلُ الدَّعَوَاتِ، بَلْ يَزِيدُ جُذُورَهَا عُُمُقًا، وَفُرُوعَهَا إِمْتِدَادًا؛ وَقَدْ كَسَبَ الْإِسْلَامُ أَنْصَارًا كَثْرًا فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ؛ وَكَسَبَ - إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ - أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ بَدَأُوا يَنْقَسِمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ صَوَابِ مَا فَعَلُوا، وَشَرَعَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَعْمَلُ عَلَى إِبْطَالِ هَذِهِ الْمُقَاطَعَةِ، وَنَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا». [فقه السيرة للغزالي ص: 126 بتصرف].

- 1 - أستخرج القيم الراقية التي أبان عنها الرسول ﷺ والصحابة في فترة الحصار.
- 2 - أستنتج أثر هذا الحصار الظالم في تقوية ثبات المسلمين أمام قريش.

اقرأ في كتب السيرة ما يتعلق بعام الحزن.